يتوهج بنور خاص ، يمد ذراعه بخط مستقيم وهو يرفع حلقة الميزان ويصوب رأسه الى الامام كأنه ينظر الى آفاق لا يراها غيره ، ويضع تحت ابطه عدة ارغفة ، فأراه مثل تمثال من الرخام المتوقد بالحياة .

وقفت انظر اليه عبر الطريق ، ولا ريب انني كنت مأخوذا تماما ، اذ لاحظت ان احد المارين اخذ يحدق الي ، ثم نظر الى حيث كنت انظر الا انه لم يجد على باب ذلك الفرن ما يستحق الانتباه ، فعاد ينظر الي مدهوشا ، وقال شيئا ثم مضى .

عبرت الشارع وكأنني مسحوب بخيوط غير مرئية الى حيث يقف عبد العاطي ، وحين وصلت قربه شاهدت الزبون الذي كان يزن الخبز له ، كان ولدا صغيرا حجبه أحد أعمدة الواجهة عن نظري حين كنت على الطرف الآخر من الطريق ، اما عبد العاطي فقد كان يوشك ان يضع الميزان جانبا ، وظننت انه لم يشعر بمقدمي اذ وقفت بلا حراك اشرب بعيني المزيد من ذلك المشهد الذي ظننت انه غير حقيقي تماما .

في اللحظة التالية وجه عبدالعاطي رأسه نحوي وابتسم ، فعرفت انه أحس بمقدمي ، فقلت له :

ـــ لا تتحرك . ابق واقفا لحظة واحدة اخرى ... انك تبدو مثل تمثال قديم .. تمثال العدالة . تلك المرأة التي تحمل ميزانا وسيفا ، ويبدو لي رغيف الخبز تحت ابطك اكثر معنى من ذلك السيف الذي تحمله امرأة معصوبة العينين ...

ونظر الطفل نحوي ، ثم عاد ينظر الى عبد العاطي الذي ظل واقفا دون حراك ودون ان يرتسم على وجهه أي تعبير ، ولم أسمع ما قاله الطفل لعبد العاطي الذي رد عليه مبتسما ، ثم جاء الولد يدب من الداخل ويتصبب العرق على وجهه من حرارة الوقد الذي كان يحشوه في بيت النار . كان عاريا فوق سرواله الابيض المتسخ ، وكانت عضلات صدره وكتفيه تبدو متسقة وجميلة وقوية دون حدود . نظر الي بامتعاض ، ولم أستطع معرفة ما اذا كان قد حيا أو شتم ، فظللت صامتا .

كان يتجه الى الطاولة يبحث عن شيء ما ، فتح الادراج وعاد فأغلقها ، ورفع الصحف والاكياس ونظر وراء الواح الخشب ، واخيرا مد يده خلف احد تلك الالواح وتناول من هناك سكينا كبيرة طويلة النصل من ذلك النوع الذي يستخدمونه لتقطيع العجين، وخطا عائدا الى الفرن ..

الا انه بعد خطوتين اثنتين عاد أدراجه ، وأخذ ينظر الى عبد العاطي واقفا هناك ، ما يزال ، جامدا . أمسكه من ذراعه بقبضته القوية وقاده بحنان لا مثيل له الى حيث اعتاد ان يجلس ، ثم اخذ الميزان من كفه واعطى الخبز للطفل وقال شيئا دون ان ينظر الى أحد ، وعاد أدراجه الى الداخل .

وفي لحظة صغيرة ، تكاد لا تحس ، تقاطعت الاشياء والاشخاص على صورة فريدة ، فقد تداخل ذلك الجسد الفولاذي العاري ، المتصبب بالعرق ، وتلك السكين ذات النصل اللامع الطويل بذلك الوهم الذي خيم علي عندما شهدت عبد العاطي واقفا والميزان مرفوع امامه ، على امتداد ذراعه ، عاليا ..

هززت رأسي بعنف ، وقلت لنفسي انني رجل اخذت منذ أيـــام أفقد صلتي بالواقع الذي عشته حتى الامتلاء كل عمري ، وانني أغوص في عالم الاحلام والاوهام والرؤى العجيبة، وأرى الاشياء والناس والحركات كما لم يحدث لي قط من قبل في حياتي ، وأورثني هذا كله شعورا مفاجئا بالتعاسة ، فقد تذكرت ما حدث أمس الخميس في مكتبي في مركـــز توزيع الاعاشة عندما كنت طوال لحظات خارجة عن عالم المعقول متأكدا من أن جموع الواقفين على البوابة سيحطمونها وان جدار الصمت المبني بيني وبين العالم سيتحطم في